مجلة علوم إنسانية
JOURNAL OF HUMAN SCIENCES
مجلة دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية
Issue 44, Year 7th , Jan. - 2010 مجلة علوم انسانية WWW.ULUM.NL السنة السابعة: العدد 44: شتاء

التحيز اللغوي عند العرب

الدكتور محمد أحمد أبو عيد

أستاذ مساعد في اللغويات التطبيقية- قسم اللغة العربية التطبيقية- كلية إربد الجامعية- جامعة البلقاء التطبيقية- الاردن
abueid_mohammad@yahoo.com

الكلمات المفاتيح / Key words

التحيز اللغوي، أصل، أفضل، خصائص، القدماء، المعاصرون، اللسانيات

ملخص:

قصدت هذه الدراسة إلى معالجة التحيز اللغوي عند العرب، وذلك عن طريق بسط مفهوم التحيز، والبحث عن مظاهر ذلك التحيز، على نحو موجز، في الثقافات الإنسانية، بعامة، ليصار من بعد ذلك، إلى دراسة التحيز ذاته، وعلى نحو تفصيلي، في الثقافة العربية القديمة والمعاصرة. ومن ثم، تناول الموضوع من وجهة اللسانيات المعاصرة، والتي انحازت الدراسة إلى آرائها في الأمر. ومن هنا، انتهت الدراسة إلى مقاومة القول بتفوق أو أفضلية لغة على أخرى، ومن ثم، فقد نسفت الدراسة مقولات التحيز اللغوي وأبطلتها، معتبرة أن اللغات جميعاً تقف على مسافة واحدة من التناول اللساني والعلمي المعاصر. ومن ثم، فإن المبررات التي ساقها العرب القدماء والمعاصرون لتفضيل العربية على غيرها من اللغات هي مبررات غير علمية وغير موضوعية.

Abstract

The Linguistic Prejudice by Arabs

This study aimed to treat the linguistic prejudice by Arabs, and that by explaining the concept of linguistic prejudice first, and then searching in brief

for the roots of prejudice in the linguistic studies in human cultures in general, then to reach the same prejudice in the Arabic studies.

The subject after that was discussed from the side of modern linguistics which the study took the side of its opinions.

The study revoked the category of linguistic prejudice considering that all languages stand at the same distance of modern linguistic and scientific approaches.

Therefore the justifications that the Arab linguists to prefer Arabic on other languages are non scientific and non objective.

التحيز اللغوي عند العرب

- **تمهيد:**

تقصد هذه الدراسة الكشف عن التحيز اللغوي عند العرب، انطلاقاً من بسط مفهوم التحيز، أولاً، ومن ثم، الإشارة إلى ذلك التحيز في الثقافات الإنسانية، عامة، والتحري بعد ذلك، وعلى نحو تفصيلي، عن أبعاد الظاهرة في الفكر اللغوي العربي، ومن ثم، تتجه الدراسة للخلوص إلى نتائجها النهائية.

- **التحيز اللغوي "مصطلحاً ومفهوماً":**

تتبنى الدراسة مصطلح "التحيز اللغوي"، بوصفه المصطلح المقابل للمصطلح الإنجليزي Linguistic Prejudice (هدسن، 1987، ص324)، وهي إذ تتبناه تشير به إلى ذلك النمط من المقولات التي يعثر عليها المرء في أدبيات الدراسات اللغوية، عامة، والتي تشير إلى أفضلية لغة على أخرى، ومن ثم، إلى تفوق لغة ما، وتفردها عن دون اللغات.

وقد آثرت الدراسة تبني هذا المصطلح، تجنباً منها لاصطلاحات أخرى، تشير للظاهرة ذاتها، كالشوفينية أو النرجسية اللغويتين، أما الشوفينية اللغوية، فقد استخدمها أحد الباحثين المعاصرين، (خشيم، 2001، ص21)، والدراسة، إذ تتفق مع ذلك الباحث في بعض نقاط الالتقاء بين الشوفينية والتحيز اللغوي، إلا أنها تلفت الانتباه، في الآن نفسه، إلى نقاط الافتراق الأخرى، إذ إن الشوفينية، والتي هي مصطلح سياسي، تقوم، أساساً، على الكره والحقد والعداوة، وترتبط بمبدأ التفوق العرقي والإثني (عبد الواحد، وآخرون،2004، ص230)، وهو ما لا يقع، بالضرورة، في حالة التحيز اللغوي عند العرب، كما سيتضح، لاحقا.

وأما النرجسية، فأشار بها أحد الباحثين إلى تلك الحالة من التحيز للعربية، (طرابيشي، 2002، ص910)، وإن كان الآخرون يشيرون بالنرجسية إلى حالة من التحيز، تعم الثقافة العربية، كلاً، بما في ذلك اللغة (طرابيشي، 2002، ص75-76). وإذا كانت الدراسة على وعي بالظلال المرضية التي يضفيها مصطلح "النرجسية" في الدراسات النفسية، وعلى وعي، من جهة أخرى، بارتباط الشوفينية بالنظرة العرقية والإثنية التي تجعل اللغة المكون الأساسي للقومية، كما ينص هيردر وفيخته (بشر، 1997، ص372)، فإنها، أي الدراسة، تؤثر "التحيز اللغوي"، لما تراه في المصطلح من ظلال تلطيفية، ومن بعد عن التخندق والتمترس وراء فكرة واحدة، لا غير، وعليه، فإنها، أي الدراسة، تعده، أي التحيز اللغوي، المصطلح الأكثر دقة في وصف الحالة العربية.

- **التحيز اللغوي عبر الثقافات:**

تخلصت الثقافات القديمة من إشكالية تعدد أصول اللغات بطريقة سهلة وسريعة، إذ اعتبرت كل أمة أن لغتها هي الأصل، وأن اللغات الأخرى مشتقة منها (ماريوباي، 1970، ص45).

فعلماء الدرس الاشتقاقي المقارن يؤكدون أن السومريين والأكاديين، ومنذ مرحلة موغلة في القدم، استخدموا الكلمة (باربارا) أو (فارفارا)، للإشارة بها إلى الشعوب الأخرى غير المفصحة (طرابيشي، 2002، ص76).

وكانت السنسكريتية قد ادعت لنفسها التفوق على بقية اللغات، آية ذلك، أنها استعملت اللفظ "فارفارا"، لتشير به إلى الناطقين بغير السنسكريتية، وقصدت به الذي لا يبين كلامه، ولا يفصح، في حين إن السنسكريتية نفسها كانت تعني اللغة الكاملة (طرابيشي، 2002، ص75).

وفي اليونان، نجد لفظ "الهلينيين" يشتق من فعل النطق والإفصاح (طرابيشي، 2002، ص78)، واليونان يعدون بربريا كل شعب ينطق بلسان غير لسانهم، ويرون في مثل هذا اللسان لا نطقا مبينا، بل زعيق طيور (طرابيشي، 2002، ص77)، بل إن جالينوس عدَّ ما عدا اليونانية من اللغات إما نباح كلاب، وإما نقيق الضفادع (بيومي، د.ت، ص20).

وقد استعمل الرومان مصطلح "البرابرة"، ليشيروا به إلى الشعوب الأخرى، مع ما يشتمل عليه هذا المصطلح، عندهم، من دلالات لغوية، ودلالات أخرى، تتصل بأبعاد ثقافية وحضارية، ترمز إلى الهمجية والقسوة وانعدام الحضارة (طرابيشي، 2002، ص76-77).

ومن الممكن أن تكون تسمية العبريين بهذا الاسم قد أتت، أصلا، من الجذر "عبر"، والمنقلب عن "عرب"، والمتصل بالإفصاح والبيان (طرابيشي، 2002، ص78). وقد ظل سائدا في الغرب المسيحي، وحتى إبان عصر النهضة، أن العبرية أصل اللغات، ولم يجرؤ أحد الاقتراب من هذا التابو طوال العصور الوسطى، من باب التحرز الديني (ماريوباي، 1970، ص45).

وفي العصر الحديث، ربط بعض اللغويين بين اللغة والجنس، ومن ثم آمن لغويون بتميز لغة على أخرى، وفقا لتميز جنس الناطقين بها (السعران، 1963، ص66)، ومن باب التحيز الإثني وما يليه من تحيز لغوي، رأى بعض المهتمين باللغة أن اللغات الهندوأوروبية أسمى من اللغات السامية والحامية

(السعران، 1963، ص66). وفي العصر نفسه، ذهب الألمان والطليان: النازيون والفاشيون إلى أن الألمانية والإيطالية خير اللغات، وأن بقية اللغات يجب أن تخضع أمامها (السعران، 1963، ص67).

إن ما ساقته الدراسة من أمثلة عبر الثقافات الإنسانية المختلفة ليشير، على نحو جلي، إلى أن التحيز اللغوي ظاهرة عامة، لا تختص بشعب أو أمة من الأمم ، وعليه، فإن الربط بين الهوية الحضارية واللغة خاصية أنثروبولوجية وإبستيمية مشتركة بين جميع الثقافات الكبرى، التي غطت مساحات جغرافية شاسعة على مدى القارات، والتي تخطت قاعدتها الإثنية الضيقة (طرابيشي، 2002، ص75). ومن جملة هذه الثقافات، راحت الثقافة العربية، والتي تخطت الحيز الجغرافي الأصل للأمة، تزعم للغتها التفوق على الآخر، ومن ثم، راحت تقول بالتحيز للعربية، بوصفها اللغة الأكثر كمالاً. وفي الآتي من الصفحات بيان لذلك.

- **التحيز اللغوي عند العرب القدماء:**

كان قدماء العرب إذا ما نظروا للغة، وعلى وجه الخصوص "العربية"، ينظرون إليها على أنها كيان غريب ومذهل، ومن ثم، فإنها لا يمكن أن تكون من وضع البشر (شاهين، 1984، ص70)، بل هي من عند الله، وهو ما يفسر ما ذهب إليه فريق منهم إلى القول بالتوقيف، لا بالاصطلاح؛ قال ابن فارس: "أقول: إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: وعلم آدم الأسماء كلها" (ابن فارس، 1993، ص36)، وهي فرضية يجدها المرء في كثير مما يطلع عليه من مصادر الأقدمين (ابن جني، 1999، ج1، ص41-48)، بل إن السيوطي يذكر يعرب بن قحطان، واسمه مهزم، على أنه أول من انعدل لسانه عن السريانية إلى العربية (السيوطي، د.ت.، ص32)، ولعل في اللفظ (انعدل)، هنا، ما يستحق التوقف عنده، إذ إنه يفترض ما هو صحيح مُستقيم كامن في اللسان العربي، وما هو منحرف كامن في الألسنة الأخرى، مع الإشارة، إلى أن القول بتحول اللسان من السريانية إلى العربية، ثمة، يفترض، بالضرورة،

أن تكمن وراء التحول عوامل ميتافيزيقية، تتمثل بإرادة الله في التوقيف على هذه اللغة، وهي في نص السيوطي، العربية.

ولعل القول بتوقيف اللغة، والإيمان عند أشياخ الدرس اللغوي القديم بأن العربية من عند الله ، هو ما قاد هؤلاء اللغويين إلى الاعتقاد بتميز العربية وتفوقها على بقية اللغات، ومن ثم، وقفت وراء التحيز اللغوي عند العرب، عوامل دينية، لا قومية أو إثنية.

فقد خصص ابن فارس فصلا في كتابه "الصاحبي" بعنوان: "باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها"، جاء فيه: "قال جل ثناؤه: وإنه لتزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك من المنذرين بلسان عربي مبين؛ فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان" (ابن فارس، 1993، ص43).

ويربط ابن فارس النص، أعلاه، بنص آخر، هو قوله جل ثناؤه: "خلق الإنسان علمه البيان"، فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة، فلما خص جل ثناءه اللسان العربي بالبيان، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه، فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كل من افهم بكلامه على شرط لغته فقد بين، قيل له إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلماً، فضلاً عن أن يسمى بيناً أو بليغاً، إن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية (ابن فارس، 1993، ص44).

إن النصين، أعلاه، ليكشفان عن جملة من البيانات، أظهرها:

- أن ابن فارس يجعل البيان حكراً على العربية.

- أن الرجل يميز بين البيان والاتصال، فالاتصال قدرة تشترك فيها اللغات عامة، وأما البيان فينضاف إلى الخاصية الاتصالية العربية في حالة فريدة.
- أن القدرة على الاتصال ليست حالة متميزة، فاللغة في قدرتها تلك لا تختلف عن قدرة البكم على التواصل، مع التنبه، هنا، إلى أن اللغة بكفايتها الاتصالية فقط، تكون خلواً من الفصاحة والبلاغة.
- أن اشتمال العربية على البيان توقيف من عند الله.

إن قراءة أخرى للنصيين القرآنيين ترينا أن النص الأول وسم العربية بالبيان، غير أن الوسم، هنا، لا يخص العربية وحدها، أو يجعلها منفردة، بدليل أن النص الآخر يربط البيان بالإنسان كلاً، وعليه، فإن هذه القراءة تبطل اتكاء ابن فارس على النص الديني لتسويغ القول بالتحيز للعربية.

وفي السياق نفسه، يرى الثعالبي أن من أحب الله تعالى أحب الرسول (ص)، ومن أحب الرسول العربي (ص) أحب العرب، ومن أحب العرب، أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب.... ومن هداه الله للإسلام... اعتقد أن محمداً (ص) خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات و الألسنة (الثعالبي، د.ت، ص21).

وكرة أخرى، فإن لغوياً آخر، هو الثعالبي يتكئ على المقولات الدينية لتبرير التحيز للعربية، وهو اتكاء لا تتفق معه الدراسة، إذ إنها، أي الدراسة، تفرق بين حب المرء للدين ومتعلقاته، بما في ذلك اللغة، والقول بتفوق عرق على آخر أو لغة على أخرى، إذ إن هذا القول يتناقض أصلاً مع نصوص دينية كثيرة واضحة الدلالة، تشير بالجملة إلى المساواة بين أبناء البشر، مع ما يمكن أن تؤول إليه تلك المساواة من مساواة بين اللغات.

على أن اللغويين العرب ليسوا على قول واحد في التحيز، فقد أورد ابن جني في خصائصه أنه سأل أبا علي الفارسي غير مرة عن حال اللغتين العربية والعجمية، فكان جوابه بالانحياز للعربية ولطفها (ابن جني، 1999، ج1، ص244)، ومن وحي هذا الجواب راح ابن جني يأتي بعبارات المديح للعربية،

ففي باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح، قال ابن جني: "واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول على فكري، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة، ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر" (ابن جني، 1999، ج1، ص48).

وفي أول سطور الخصائص، نرى الرجل يقول: "على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة، ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة" (ابن جني، 1999، ج1، ص1)، وفي باب القول على الفصل بين الكلام والقول يقول: "وستراه، أي: الباب، طريقاً غريباً، ومسلكاً من هذه اللغة الشريفة عجيباً" (ابن جني، 1999، ج1، ص5)، وفي موضع آخر، يرد عنده التنبيه على شرف هذه اللغة وسداد مصادرها ومواردها (ابن جني، 1999، ج1، ص78)، وعن باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني ينص الرجل على أن الباب دلالة على حكمة العرب التي تشهد بها العقول، وتتناصر إليها أغراض ذوي التحصيل (ابن جني، 1999، ج2، ص166).

على أية حال، فإن ما ورد، أعلاه، عند ابن جني، لا يقع في باب التحيز اللغوي، بل يقع في باب حب الرجل للغته، وتعبيره عن هذا الحب، فابن جني، وكما ترى الدراسة، ظل من بين الأقدمين المشتغلين بالأمر، محافظاً على حياده تجاه أفضلية العربية على غيرها من اللغات، وكان قد عبر عن هذا الحياد بعباراته المتشككة والمناورة، والتي تفضي، في نهاية الأمر، إلى إدارة حوار بين طرفين يتنازعان الأمر قبولاً أو رفضاً.

يروي ابن جني أن المأثور عن العرب شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم أجمل الجميل فيها، فإن قلت: فإن العجم، أيضا، بلغتم مشغوفون، ولها مؤثرون، ولأن يدخلها شيء من العربي كارهون، ألا ترى أنهم إذا أورد الشاعر منهم شعراً فيه ألفاظ من العربي، عيب به، وطعن لأجل ذلك عليه، فقد تساوت

حال اللغتين في ذلك، فأية فضيلة للعربية على العجمية؟ قيل: لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الغموض والرقة والدقة، لاعتذرت من اعترافها بلغتها، فضلا عن التقديم لها والتنويه منها، فإن قيل: لا، بل لو عرفت العرب مذاهب العجم في حسن لغتها، وسداد تصرفها، وعذوبة طرائفها، لم تبء بلغتها، ولا رفعت من رؤوسهن باستحسانها وتقديمها (ابن جني، 1999، ج1، ص243).

إن نصوص ابن جني السابقة لتجعل إشكالية العربي والأعجمي في الفكر اللغوي العربي إشكالية مفتوحة، وإشكالية قائمة على الحوار بين الأنا والآخر، دون الانحياز بالمطلق، للأنا العربي، وهو ما يتفق مع وجهة نظر أحد الباحثين المعاصرين، الذي جعل جدلية الأنا والآخر، ومنها جدلية العرب والعجم واحدة من الإبستميات التاريخية التي حكمت كثرة من ثقافات العصور القديمة والوسطى، ولكنها في الثقافة العربية أخذت طابعاً أقل إطلاقية بكثير من ذاك الذي كان لها في الثقافات الأخرى (طرابيشي، 2002، ص8).

وإذا كان ابن جني واحداً ممن جعلوا الإشكالية مفتوحة، وذلك في حالة تتخالف ومن قالوا بالتحيز للعربية وتفضيلها على باقي اللغات، فإن تخالفه ذلك لجدير بالتوقف والتأمل، إذ إن الرجل، وبوصفه أحد أقطاب التراث اللغوي العربي، يمثل، على ذلك، حالة متميزة عن أقرانه، لا بل حالة سابقة فكرياً ولغوياً لكثير من المعاصرين، وهو ما يجعل القول بالتحيز اللغوي عند العرب لا يحفل بالإجماع، بل يجعله حكراً على مقولات لبعض اللغويين دون الآخرين.

وعلى الرغم من أن القول بالتحيز اللغوي عند هؤلاء اللغويين كمنت وراءه عوامل ميتافيزيقية ودينية، فإن هذا النفر لم يقف عند حدود تلك العوامل، بل راح يبحث عن عوامل فيزيقية في اللغة ذاتها تسوغ القول بالتفوق والتحيز، وهذا بيان لتلك العوامل:

ـ الترادف:

ينص الجاحظ على أن لغة العرب أوسع (الجاحظ، د.ت.، ص385)، ويذكر ابن فارس الترادف من باب التفاخر، فينص على أن للأسد في لغة العرب خمس مئة اسم وللحية مائتين (ابن فارس، 1993، ص47)، وهو من بعد ذلك يورد مناظرة للأصمعي مع الرشيد حول غريب الشعر، يزعم الأصمعي فيها أنه يحفظ للحجر سبعين اسماً (ابن فارس، 1993، ص47)، ومن بعد المناظرة يطرح ابن فارس سؤاله قائلاً: فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ وهو سؤال يعلي شأن لغة العرب ويغض الطرف عن غيرها، حتى إن الرجل ليجعل أن من غير الممكن نقل أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة، مع الأخذ بعين الاعتبار، أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، وأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم (ابن فارس، 1993، ص47). وينبني على ذلك أن سائر اللغات لا تبين إبانة اللغة العربية، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك، إلا باسم واحد، و نحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة، فأين هذا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهية (ابن فارس، 1993، ص44).

لقد كان الترادف، وكما يتضح في السطور السابقة، أحد العوامل اللغوية التي جعلت العرب القدماء يعتدون بالعربية وتفوقها على بقية اللغات، فهم افترضوا أن هذه السمة تظهر في العربية، على نحو لا تظهر عليه في لغة أخرى، وهو افتراض يغض الطرف عن أن الترادف ظاهرة لغوية عامة تظهر في اللغات، على نحو من التخالف، وفق عوامل بيئية وثقافية كثيرة، فكما أن الترادف في العربية تمثله حقول لفظية من نحو: السيف والصحراء والناقة والخيل والخمر، فإن الترادف في لغة أخرى قد يمثل بحقول لفظية أخرى لا تعرف العربية فيها، ترادفاً، وعليه يبطل الاتكاء على هذا العامل بوصفه دافعاً أبرز للقول بالتحيز.

- الإعراب:

وجاء ذكره عند ابن فارس في باب ذكر ما اختصت به العرب، قال الرجل: "من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب" (ابن فارس، 1993، ص48)، والحق أن الإعراب، كما تكشف عن ذلك اللسانيات المقارنة، ظاهرة لا تنفرد بها العربية، بل هي تعرف في لغات كثيرة، ومنها اللغات الساميّة، التي تنتسب العربية إلى أرومتها (الحمد، 1987، ص18)، على أية حال، فإن الافتراض بأن تنفرد العربية بالإعراب، لو صح، فإنه لا يقود إلى التحيز، ذلك أن اللغات قد تنفرد إحداها أو بعضها بسمات أخرى لا تظهر في العربية، ولا تكون تلك السمات علامات تفوق على لغة أخرى، كما لا يكون الإعراب، كذلك، علامة على التفوق والانفراد.

- التفرد في التعبير:

وذلك أن العربية تنماز، برأي علماء السلف، بقدرتها على التعبير عن معان لا يستطيع أهل اللغات الأخرى التعبير عنها، إذ إن اللغات الأخرى عاجزة وبكيئة إزاء هذه المعاني، فعلى المستوى الدلالي للمفردات، يرى ابن فارس أنه لو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين والشك والظاهر والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام، لعي به ، والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل (ابن فارس، 1993، ص46).

وعلى المستوى الدلالي للتراكيب، يعود ابن فارس للسؤال، كرة أخرى، ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم: ذات الزُّمَيْن وكثرة ذات اليد ويد الدهر، ومفاصل القول ورابط الجأش، وأسود النواحي واقتحف الشراب كله، وفي هذا الأمر مصاعب وقحم، وما أشبه هذا من بارع كلامهم، ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدالة (ابن فارس، 1993، ص48).

هذا من الوجهة الدلالية للتعبير، أما من الوجهة التركيبية، فقد انفردت العربية، وفق ما يرى فقهاؤها القدماء، بتراكيب لا توجد في غيرها من اللغات، فقد ورد عند الثعالبي فصل: للعرب فعل لا يقوله غيرهم، تقول: عاد فلان شيخا، وهو لم يكن قط شيخاً، ولم يعد قط شيخا، وعاد الماء آجناً، وهو لم يكن كذلك، ومثله قوله عز وجل:"ومنكم من يرد إلى أرذل العمر"، وهم لم يبلغوا أرذل العمر، فيردوا إليه (الثعالبي، د.ت.، ص378)؛ وهي التراكيب ذاتها التي أوردها ابن فارس في باب" نظم للعرب لا يقوله غيرهم، مزيد عليها قوله تعالى: "يخرجونهم من النور إلى الظلمات "، وهم لم يكونوا في نور قط (ابن فارس، 1993، ص259-260).

على أية حال، فإن اختلاف التراكيب وطرائق التعبير الدلالي بين اللغات، أمر يقره الوصف اللساني المعاصر للبنى اللغوية ودلالاتها، لكن هذا الاختلاف لا يقود إلى التحيز اللغوي، فكل لغة تحتفظ ببنيتها التركيبية الخاصة، ولكل لغة مفرداتها أو مادتها اللغوية.

- **التفوق الصوتي:**

وذلك كاختصاص لغة العرب باختلاس الحركات، في مثل: فاليوم اشربْ غيرَ مستحقبٍ (ابن فارس، 1993، ص47)، والإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف، نحو "لم يكُ" (ابن فارس، 1993، ص47) وقلب الحروف عن جهاتها، كما في ميعاد، بدلاً من موعاد طلباً للخف، وتركهم الجمع بين الساكنين مع أنه في لغة العجم قد تجتمع ثلاثة سواكن، ومنه قولهم: يا حار، ميلاً إلى التخفيف (ابن فارس، 1993، ص46).

وليس كثير من تلك المظاهر خاصاً بالعربية، بل هي مظاهر تعرفها لغات كثيرة، قديمة ومعاصرة، وحتى لو انفردت العربية بمظهر صوتي ما، فإن ذلك لا يسوغ القول بالتفوق، فثمة مظاهر صوتية كثيرة تشتمل عليها اللغات، ولا تعرفها العربية.

إن القول بتفوق العربية على اللغات اتكاءً على المظاهر سالفة الذكر، يجعلنا نتفق مع ما ذهب إليه إبراهيم أنيس من أن الأقدمين نظروا إلى العربية على أنها سحر خاص لا تعرفه بقية اللغات (أنيس، 1978، ص36)، وفي الآن نفسه، تختلف الدراسة مع أنيس في زعمه أن الاعتقاد بهذا السحر تقف وراءه عوامل إثنية بحتة، تتصل بالتفوق العرقي (أنيس، 1978، ص36)، فكما تقرر سابقاً، فإن العوامل الدينية المرتبطة بتفسيرات خاصة للنصوص الدينية هي ما كان يحرك تلك المقولات المتحيزة، وإن كانت الدراسة لا تغفل عن مقولات تخص الجنس العربي وتفوقه، ولكنها مقولات وقفت وراءها أيضاً عوامل دينية، تتعلق بحمل العرب للواء الإسلام.

- **التحيز اللغوي عند العرب المعاصرين:**

قدّم بعض العرب المعاصرين عدداً من الدراسات التي نادت بتفوق العربية على غيرها من اللغات، فقد ألّفَ سعيد بيومي كتاباً بعنوان "أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها"، وكتبَ عبد الرحمن البوريني كتاباً بعنوان: "اللغة العربية أصل اللغات كلها"، وأنشأ لطفي عبد البديع كتاباً أسماه "عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب"، وألّفَ علي خشيم كتاباً بعنوان "رحلة الكلمات"، زعم فيه أن العربية أساس اللغات جميعاً (بيومي، د.ت.، ص9).

ومن الإصدارات الأخرى في الباب نفسه، كتاب محمد رشيد: " لغة آدم عطاء أبدي لبني آدم"، ومنها أيضاً مؤلّف محمود القاسم: "اللغة الفرنسية لغة عروبية"، وكتاب محمد مازهار بالإنجليزية: "Arabic: The source of all languages". وكانت دراسات أخرى تبنت التحيز اللغوي، على شكل مقولات مثبتة في فصولها.

واستهلّ بعض من هؤلاء الدارسين تكلمهم على التحيز للعربية بالعبارات الفارقة لها عن غيرها؛ فهي أم اللغات (بيومي، د.ت.، ص31)، وهي لغة عبقرية (عبد البديع، 1976، ص1)، وهي لغة جميلة (شوشة، د.ت.، ص235)، وهي أرقى اللغات السامية، ومن أرقى لغات العالم (زيدان، 1982، ص27)،

ولغة روحية مثالية (الزعبلاوي، 1992، ص39)، وتقع من حياة العرب ونفوسهم موقعا، لا تقع مثله لغة أخرى في حياة أصحابها (المبارك، 1981، ص47)، ومن ثم، فالعربية ليست من اللغات التي نشأت من اختلاط الإنسان بالمحيط الذي يعيش فيه، وليست مأخوذة من أصوات الحيوانات أو أصوات الطبيعة، لأنها لغة الله ولغة كتابه، وهي أول اللغات استعمالاً على وجه البسيطة (البوريني، 1998، ص14).

وتجدر الإشارة إلى أن مقولات التحيز اللغوي عند العرب المعاصرين ظلت تدور في إطارين، أحدهما اللغات السامية، والآخر لغات العالم، فالعربية عند بعضهم تتفوق على اللغات السامية فحسب، في حين هي عند آخرين تتفوق على لغات العالم مجتمعة، وهذا بيان لذلك:

❖ دائرتا التحيز اللغوي:

▪ **الدائرة الأولى (الساميات):**

جعل فريق من المعاصرين يتحيز للعربية دون غيرها من الساميات، أي إن إطار المقارنة أو المفاضلة ظل في دائرة الساميات، ومن ذلك ما يراه علي وافي من أننا لو تركنا المقارنة بين مجموعات اللغات، وأخذنا نقارن بين اللغة العربية داخل مجموعة اللغات السامية، لوجدنا أنها تفضل زميلتيها الكبيرتين العبرية والسريانية (وافي، د.ت.، ص247)، إذ هي اللغة التي حافظت على خصائص اللغة الأم، وهي الأقدر على الاستيعاب والتكيف، معجمياً (وافي، د.ت.، ص247)، وإلى جانب التفوق اللغوي يبرز التفوق الثقافي، بما هي، أي اللغة، انعكاس للثقافة، ذلك أن الثقافة العربية تفوق كل الثقافات السامية وتفضلها (وافي، د.ت.، ص247-248).

▪ **الدائرة الثانية (العروبية الأم):**

ولعل أظهر من يمثل ذلك، علي خشيم، إذ أفرد مؤلفا بعنوان: "رحلة الكلمات"، زعم فيه أنه، وعلى منهج الدرس المقارن، اهتدى إلى أن اللغات، جميعاً، من سامية وهندوأوروبية وحامية وغيرها،

تعود لأصل واحد، أسماه العروبية الأم، وعليه، فالعربية أساس اللغات، رغم أنها عنها بعيدة (خشيم، 2001، ص9، ص13)، والإغريقية، مثلاً، ليست إلا لغة عربية تأثرت بالعروبيات الأولى التي ظهرت في حوض المتوسط كاللغات العراقية القديمة والآرامية والفرعونية (خشيم، 2001، ص13).

ووضع البوريني كتاباً أسماه: "اللغة العربية أصل اللغات كلها"، وفيه يرى أن اللغات تفرعت من العربية، بدليل وجود كلمات إنجليزية تعود إلى العربية (البوريني، 1998، ص8)؛ وهو أمر استخلصه من دراسة مقارنة بين العربية والإنجليزية، ذهب فيها إلى انتساب الإنجليزية إلى العربية، ومن ثم جعل العائلة التي نشأت منها الإنجليزية عربية الأصل، ولذا، يكون الباب قد انفتح على مصراعيه لمزيد من النتائج المماثلة التي تتمخض عنها الدراسات المقارنة (البوريني، 1998، ص17).

ويلخص البوريني تحيزه بالقول: "العربية أم اللغات وأصلها الأصيل، وكل اللغات الآرية والسامية والحامية كان أصلها لهجات عربية، تولدت عنها" (البوريني، 1998، ص14).

ويشير صبحي الصالح، وهو أحد أعلام الدرس اللغوي الفقهي المعاصر، إلى هذا الاتجاه من التحيز، بقوله: " يتصدى بعضهم اليوم، عن طريق ما يسميه بالتأثيل والترسيس، إلى اعتبار العربية فوق اللغات الإنسانية، قاطبة، فهي أم اللغات الآريات، لا الساميات الحاميات، فحسب" (الصالح، 1978، ص347).

إن التكلم على أصل اللغة، هو في حقيقة أمره، اغتصاب لما وراء اللغة، وهو اغتصاب لما قبل الإنسان، وبالتالي، هو سعي إلى ما وراء التاريخ، فليس الحديث عن مبتدأ اللغة إلا اقتلاعاً لمعلوم من غيابات المجهول، الضارب في ما وراء الزمن، وقبل الوجود" (المسدي، 1981، ص58).

ينص ماريوباي على أنه لو سئل أحد اللسانيين: هل تعتقد أن كل اللغات في العالم ترجع إلى أصل واحد، أم إن الأسر اللغوية قد نشأت مستقلة إحداها عن الأخرى في بقاع مختلفة من العالم؟، فإنه إما،

سيرفض الإجابة، خوفاً من أن يناقض نفسه، وإما أن يحيلك على زملائه العلماء المختصين في علم الأجناس (ماريوباي، 1970، ص47).

إن آراء اللسانيات المعاصرة هي ما يفسر خلو الغرب، تقريباً، ومنذ عصر اللسانيات التاريخية من أي نقاش جدي لموضوع عودة اللغات إلى الأصل العبري، مثلاً (ماريوباي، 1970، ص46)، وهو الأصل المقترح، وفق الرؤى الدينية.

وبغض الطرف عن الدائرة التي جرت فيها مقارنة العربية بغيرها، والتي ظهر فيها التحيز، فقد شرع هؤلاء الدارسون بتبيان خصائص العربية التي دفعت بهم إلى التحيز اللغوي، وهي بالجملة ذات الخصائص التي تكلم عليها الأقدمون بوصفها عوامل فارقة للعربية عن غيرها، ولعل أظهر تلك الخصائص:

- **الترادف:**

ففي العربية مد لغوي أيُّ مد (الزعبلاوي، 1992، ص46)، وهي أوسع اللغات ثروة، وأغناها في أصول الكلمات الدالة على معان متشعبة قديمة وحديثة (الصالح، 1978، ص292).

- **استيعاب الدخيل:**

وتتميز العربية بقدرتها على استيعاب كل مالا يناقض خصوص اشتقاقها وتصاريفها من كلمات أعجمية (وافي، د.ت.، ص244).

- **دلالة الصوت على المعنى:**

فالعربية، كما يقول أحد البلاغيين المعاصرين، أعطيت خاصية، قل أن تجدها في غيرها من اللغات، وهي الصلة التي تكون بين الألفاظ ومعانيها (عباس، 1987، ص8)؛ وإذا كان المعنى يرتبط بعلاقة طبيعية باللفظ، عند الدارس المشار إليه، فإن دارساً آخر قال بتميز الأصوات العربية بجمال وقعها في الأسماع، واتساق جرسها في الآذان (الزعبلاوي، 1992، ص40).

- **التفوق الأسلوبي:**

فالعربية أكثر اللغات تفرداً وخصوصية في الصيغ والأساليب، ومن ثم، جاء القول بتعذر الترجمة الحرفية للغة أخرى، (الزعبلاوي، 1992، ص39-40). وبطبيعة الحال، فإن التكلم عن التعذر، هنا، وقف على النص العربي، وليس هذا شأن أي نص آخر، بأي لغة من اللغات، وإلا لما كانت هذه السمة فارقة للعربية عن غيرها.

خواص أخرى:

كدقة القواعد، وقياسية الأوزان، وسعة الصدر تجاه المجاز، والكناية والنقل، مما يدل على أنها من أعظم اللغات (وافي، د.ت.، ص244)، ومن تلك السمات، أيضاً، اختزال نظام الكتابة العربية وصلاحيتها لكتابة اللغات العالمية المختلفة (بيومي، د.ت.، ص183).

ولقد كان العرب، كما يرى أحد الدارسين، أمة بيان، والكلام عندهم مكانه العمل؛ لأن القول والعمل، عندهم، مقترنان، لا ينفكان، ومتقابلان لا يتفاضلان، فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل، كما هو حال الأمم المغالية في الكلام، ولا قاصرا عاجزاً عن تصويره، كما هو حال الأمم البكيئة العاجزة في لسانها، فلا غرابة، بعد هذا، في أن نجد الكثير من خصائص العرب وخصالهم في لغتهم (المبارك، 1981، ص247).

ويزعم أحد الدارسين أنه لا توجد لغة تضارع العربية في المزايا، وتحاكيها في الخصائص والفضائل (الزعبلاوي، 1992، ص38). وهي عند دارس آخر، قد اتسعت للمعرفة اتساعاً لم تعرف مثيله لغة غيرها (خشيم، 2001، ص17).

على أية حال، فإن تكلم هؤلاء الدارسين على خصائص العربية في المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ما كان ينبغي له أن يقودهم إلى القول بالتفوق والتحيز اللغوي، ذلك أن

كثيراً من هذه الخصائص تعرفه لغات أخرى متعددة، وحتى لو انفردت العربية بسمة فارقة لها عن اللغات الأخرى، فإن الاختلاف لا يعني التفوق، فثمة لغات كثيرة تشتمل على سمات لا تعرفها العربية، كما هو معهود.

نتائج الدراسة:

- اتكأ التحيز اللغوي عند العرب في كثير من ملامحه على ذكرٍ لخصائص يفترض تفرد العربية بها دون اللغات، والحق إن هذه الخصائص كالترادف والمجاز والإعراب وسعة التعبير واستيعاب الدخيل وما إلى ذلك ما هي إلا خصائص عامة تشترك فيها أكثر اللغات، وهي متفاوتة شيوعاً بين لغة وأخرى بناءً على تخالفات ثقافية وحضارية متعددة، ومن ثمّ، فليست تلك السمات مقصورة على العربية، بل هي عامة، وإن كانت العربية، تميزت بسعة ظاهرة معينة، فإن لغات أخرى تميزت بخصائص أخرى لا تنتشر في اللغة العربية. وهي على كل حال، خصائص ذاتية لا تجعل نظاماً لغوياً يتفوق عن آخر.
- تتفق الدراسة مع اللسانيين المعاصرين بالقول: إن هذه الادعاءات المتصلة بالتحيز اللغوي تنبع من أسس ميتافيزيقية (ليونز، 1988، ص د)، وعليه، فهي تقع خارج إطار العلم اللساني، إذ إنها تبحث في ما وراء اللغة، لا في اللغة التي هي موضوع اللسانيات، والدراسة، إذ تلتمس العذر لأسلافنا اللغويين العرب، والذين سجلت الظاهرة عندهم وجوداً كبيراً، فإنها لتستهجن أمر بعض المعاصرين الذين تلقفوا الظاهرة من الأقدمين، واحتضنوها، بل فاقموا من أمرها؛ فقد جاءت الدراسات اللغوية عند القدماء في زمن سيطرت فيه الميتافيزيقا على معالم الدرس اللغوي، وفي زمن اتسم الدرس اللغوي، أساساً، بالانعزال والانكفاء على الذات، وعليه، كان التحيز اللغوي إفرازا طبيعيا من إفرازات تلك المرحلة، أما ما هو مستهجن، فأن يأتي التحيز

عند العرب المعاصرين، على هذا النحو من التوسع، في زمن سادت فيه اللسانيات المعاصرة، التي انفصلت، بعلميتها عن الميتافيزيقا، والتي أتت بالتجريب والآلية والعقلانية، وفي زمن شاعت فيه النظريات اللسانية المعاصرة، التي اتسمت بالتعميم والعالمية، وما عاد من فرصة أمام الدرس اللغوي للتقوقع أو الانكفاء على الذات.

- لا ترى الدراسة الحالية طريقاً لها في هذا الإطار إلا بمقاومة القول بتفوق أو أفضلية لغة على أخرى، ومن ثمّ، فإنها بذلك تنسف مقولات التحيز اللغوي وتبطلها، فاللغات جميعاً تقف على مسافة واحدة من التناول اللساني والعلمي المعاصر، وعليه، فإن المسوغات التي ساقها الدارسون العرب لتفضيل العربية على غيرها من اللغات هي مسوغات غير علمية وغير موضوعية.
- إن ما لابد من تسجيله في دارسة شمولية لظاهرة التحيز اللغوي عند العرب، هو أن تلك الظاهرة، لم تكن إثنية بالمطلق، بل مازجت عوامل دينية، جاءت من طبيعة النظر للعربية، بوصفها لغة القرآن ولغة السماء؛ وهو ما يتخالف والتحيز اللغوي عند كثير من الغربيين، والقابع، أساساً، وراء عوامل إثنية بحتة، كما هو الحال في اليونانية القديمة، وفي الألمانية والإيطالية المعاصرتين.
- ترفض اللسانيات المعاصرة التحيز للغة معينة سواء في ذلك أكانت العوامل القابعة خلف ذاك التحيز دينية أو إثنية أو ثقافية. فالقول بوجود لغات متخلفة وأخرى راقية، قول قصي عن الحقيقة العلمية واللسانية المعاصرة (السعران، 1963، ص70)، وإذا كانت اللسانيات نفت أي علاقة بين اللغة والجنس، فإنها، من جهة أخرى، أبطلت الكلام على أصل اللغة، ونفت أن تكون لغة ما أصل اللغات، جميعا، بل هي قد أعرضت، بالجملة، عن البحث في الأمر، باعتبار ذلك بحث في ما وراء اللغة.

- إن هيمنة اللسانيات على الدراسات اللغوية، وكما أدت إلى إبطال التكلم على أصل اللغات، فإنها قادت بالضرورة إلى القول بأن ما نسميهم البدائيين، يتكلمون، أحيانا، لغات على درجة من التعقيد، لا يقل عما في أكثر اللغات تعقيداً (هدسن، 1987، ص318)، وذلك لأنه لا يمكن الربط بين بدائية أو تخلف أمة ما ونظامها اللغوي، بالزعم أن ذلك النظام سيكون هو الآخر متخلفاً وبدائياً ومنقوصاً؛ فاللغات كلها تملك بنية قواعدية معقدة واحدة، واللغة، أي لغة، إذا ما حللت إلى ذراتها الصغرى، فإنها ستتكون من فونيمات، والفونيمات تشكل مورفيمات تؤدي بدورها إلى التراكيب ذات الدلالة، أما المادة اللغوية أو الجوهر، وهو ما يتعلق بكثرة المفردات أو قلتها وبالخصائص المعجمية عموماً، فستختلف من لغة إلى أخرى، وفق حاجة تلك اللغة لهذه المفردات، ووفقاً لعوامل أخرى خارجة عن طبيعة النظام اللغوي القابل للتكيف مع كل المعطيات.

- إن التفاوت اللغوي في البنية أو المادة، وفي بعض الخصائص الذاتية الناظمة للقواعد اللغوية، لا يجعل اللغة، أي لغة، متفوقة على غيرها، بل يجعلها مختلفة عنها، والاختلاف لا يقود، بالضرورة، إلى ادعاء التفرد، ومن ثم إلى القول بالتحيز.

- كل لغة تشتمل على سمات تشترك فيه كل اللغات البشرية، منها أن كل اللغات محكومة بمجموعة من القواعد "rule governed"، (هدسن، 1987، ص318)، ومن ثم، فليس من أسس لغوية أو علمية، نبني عليها تفضيل لغة على أخرى، بناءً على وجود سمة معينة في لغة ما.

- تردد الدراسة مع اللساني الشهير سابير، أنه لا معنى لأن نقول: إن ثمة لغة أفضل من لغة أخرى (الراجحي، 1988، ص103)، وكل من يخرج من إطار هذا الترديد السابيري، كما

ترى الدراسة، سيبقى كلامه مجرد ادعاء، لا يقوى على الصمود، أمام النقد العلمي اللساني، ويبقى ادعاءه، مفرغاً من المضامين العلمية واللغوية الرصينة.

ثبت بمصادر البحث ومراجعه

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، بغداد، 1999.
- ابن فارس، أحمد بن الحسين، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف ، ط 1، بيروت، 1993.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1999.
- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1978.
- بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي، مدخل، دار غريب، ط3، القاهرة، 1997.
- البوريني، عبد الرحمن، اللغة العربية، أصل اللغات كلها، دار الحسن، ط1، عمان، 1998.
- بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، مكتبة الآداب، ط1 القاهرة، د.ت.
- الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، ط3، د.م.ن، د.ت.
- الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط4، بيروت، د.ت.
- الحمد، فارس فائز، اللغة العبرية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1987.
- خشيم، علي فهمي، رحلة الكلمات، الرحلة الأولى، مركز الحضارة العربية، ط2، القاهرة، 2001.
- الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، ، دار المعرفة الجامعية، د.ط، الإسكندرية، 1988.

- الزعبلاوي، صلاح الدين، مع النحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللغة وأسرارها، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط.، دمشق، 1992.
- زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية، دار الجيل، ط1، بيروت، 1982.
- السعران، محمود ، اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف، ط2، الإسكندرية، 1963.
- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3، القاهرة، د.ت.
- شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1984.
- شوشة، فاروق، لغتنا الجميلة، دار العودة، د.ط.، بيروت، مكتبة مدبولي، د.ط.، القاهرة، د.ت.
- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، 1978.
- طرابيشي، جورج، نقد العقل العربي، إشكاليات العقل العربي، دار الساقي، ط2، بيروت، 2002.
- عباس، فضل حسن، دار الفرقان، ط1، عمان، 1987.
- عبد البديع، لطفي، عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1976.
- عبد الواحد، ناظم، موسوعة علم السياسة، دار مجدلاوي، ط1، عمان، الأردن، 2004.
- ليونز، جون، اللغة وعلم اللغة، ترجمة مصطفى التوني، دار النهضة العربية، د.ط.، القاهرة، 1988.
- ماريوباي، لغات البشر، أصولها وطبيعتها وتطورها، ترجمة د. صلاح العربي، الجامعة الأمريكية, ط1، القاهرة، 1970.
- المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض المنهج العربي الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، ط7، د.م.ن.، 1981.
- المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، د.ط.، تونس، 1981.

- هدسن، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: د. محمود عبد الغني عياد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1987.
- وافي، علي، فقه اللغة، دار نهضة مصر، ط7، القاهرة، د.ت.